الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
Arab Private Schools Federation

صرخة من قلب المدارس

رسالة على مكتب وزير التربية والتعليم

360 KNO SMART SCHOOLING
ADVANCE THROUGH TECHNOLOGY

unicef

UNESCO
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

GenEx
Generational Education Exchange

تمكين TAMKEEN

UNIVERSITY OF VICTORIA
LONDON - UK

AMIEF
American International Education Federation

د. خميس بن عبيد العجمي

رئيس الاتحاد العربي للمدارس الخاصة

رئيس مجلس أمناء مدارس كينو الخاصة بسلطنة عمان

في إحدى زوايا الصف الدراسي، وقف أحمد، طالب في إحدى مدارس الحكومة - التابعة لأيّة دولة من دول الوطن العربيّ تشبه مدارسها مدرسة أحمد - يمسك قلمه بيد مرتجفة، لا من الخوف، بل من شدّة الشعور بالمسؤوليّة، فقد طلبت منه معلّمته أنْ يكتب رسالة يوّجهها لوزير التربية والتعليم عن المدرسة التي يحلم بها، لكنّه قرّر أنْ يكتب عن المدرسة التي يعيش فيها...

فبدأ يخطّ أحرفه بين الأمل والألم....

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

"سيدي الوزير الموقّر،

اليوم لن أحدّثك بصفتي مجرّد طالب على مقاعد دراسيّة، إنّما بصفتي ابناً من أبناء هذا الوطن، ولن أتناول في حديثي أركان المنظومة التعليمية من مناهج وكفاءة للمعلمين ولا حتّى تلك الظواهر السلبية التي تنتشر داخل البيئة المدرسية، والتي يطوى الكثير منها في صمت، ولا حتّى عن الوجبات المدرسيّة التي لا ترقى لمستوى المعايير الصحية الأساسية التي يجب توافرها لضمان نموّ صحيّ وسليم للطلبة، ولكنّني سأناجيك اليوم في قضية أعمق من ذلك بكثير... وسأخاطب فيك الأب لا المسؤول، فها أنا أكتب إليك من قلب الواقع، من بين جدران متصدّعة تحكي قصص سنوات من الإهمال، ومن ساحات تحوّلت ملاعبها إلى مناطق خطرة بدل أنْ تكون فضاءات للفرح....

لقد سئلنا نحن الطلبة: لو كنتم في موقع المسؤوليّة، ماذا تريدون لمدارسكم؟، فكانت إجاباتنا بسيطة لكنّها عميقة المعنى، فقد أردنا أماكن للعب، مساحات للترفيه، حمامات سباحة لربما، نحن لم نطلب المستحيل، ولكنّنا طلبنا ما يملكه أقراننا في دول أخرى أو حتذى في مدارس خاصّة لا حكوميّة، طلبنا حقنا في طفولة آمنة وسعيدة...ولكنّ الواقع مختلف تماماً للأسف...

فالملاعب المتكسرة ليست مجرّد منظر محزن، بل خطر يومي يهدّد سلامتنا، فكم من زميل سقط وأصيب لأنّ أرضية الملعب غير صالحة، وكم من حلم بممارسة الرياضة تحطّم أمام واقع مرافق لا تصلح حتى للاستخدام...

والجدران المتهالكة تروي قصّة إهمال ممتدّ، ويْ كأنّ هذه المباني ليست أماكن نقضي فيها أجمل سنوات عمرنا، إنّما مجرّد هياكل إسمنتية بلا روح، والأخطر من ذلك، الأبواب الآيلة للسقوط التي تحوّلت من وسيلة حماية إلى تهديد محتمل....

ناهيك عن مظلاّت الموت، هكذا أسميناها، فأنا أذكر ذلك اليوم بوضوح، إذ كنّا في طابور الصباح، والشمس حارقة، فوقفنا تحت المظلات الألمنيوم كعادتنا، وفجأة، سمعنا صوت تشقّق مريب، فنظر المعلّم بقلق إلى الأعلى، ثم صرخ فينا: "ابتعدوا، بسرعة!"، فركضنا جميعاً، وبعد دقائق، سقط جزء من المظلة بصوت مرعب، فهل يُعقل أنْ نخاف من الظلّ الذي يفترض أنْ يحمينا؟ وهل يُعقل أنْ تتحوّل ساحات اللعب إلى مناطق خطرة؟

ومن جانب آخر ، فإنّنا نفتقر لوجود الرعاية الصحية، صحيح أنّ مدرستنا كان فيها ممرض مسبقاً، يعالج جروحنا البسيطة، ويطمئن على الطلبة الذين يشعرون بالتعب، ولكن تمّ سحب أغلب الممرضين والممرضات من المدارس، فالآن، عندما يصاب أحدنا، يقف المعلمون حائرين، نعم، صحيح أنّه قد تمّ تدريب بعضهم على الإسعافات الأولية، ولكنْ هل هذا كافٍ؟ هل يُعقل ألاّ يكون في المدرسة مختصّ صحيّ دائم؟ ونعم صحيح أنّ الوزراة قد اعتمدت ممرضاً واحداً لعدد كبير من المدارس، ولكنّه يأتي يوماً واحداً في الفصل الدراسي بأكمله! يوم واحد! وكأنّ الطلبة لا يمرضون ولا يتعرضون للحوادث إلاّ في ذلك اليوم المبارك، فلماذا لا يتمّ تعيين ممرضين بكوادر ثابتة ومكافآت مجزية؟ أليست صحتنا أولوية حالها كحال الأولويّات الأكاديميّة؟

ونصل للحافلات، تلك الآلات التي تحملنا نحو رحلة محفوفة بالمخاوف، ففي كلّ صباح، أركب الحافلة المدرسية مع عشرات الطلبة الآخرين، وفي الطريق، نمزح ونضحك، لكنْ في قلوبنا خوف لا نبوح به، فحوادث وفاة الطلبة في الحافلات التي سمعنا عنها ليست مجرد أخبار وشائعات، إنّما هي كوابيس تطاردنا، فأين مشرف الأمن والسلامة الذي يفترض أنْ يتحقّق من سلامة الحافلات يومياً؟ وأين البرامج التدريبية المكثفة للسائقين؟ ففي معظم المدارس، لا يوجد حتى مشرف أمن وسلامة، رغم أنّ هذه ليست وظيفة ثانوية، ولكنّها مسألة حياة أو موت، فعندما يركب طفل الحافلة في الصباح، يجب أنْ يكون والداه مطمئنين إلى أنّه سيعود سالماً، لا أنْ يعيشا في قلق دائم....

سيدي الوزير،

نحن لا نقلّل من أهميّة معايير الجودة الأكاديمية، فالتعليم الجيد حقّ لنا أيضاً، ولكنْ ما فائدة أفضل المناهج إذا كان الطالب يجلس في فصل متصدّع الجدران، أو يلعب في ساحة خطرة، أو يركب حافلة غير آمنة؟

فمعايير الأمن والسلامة يجب أنْ تكون الأولوية الأولى، فقبل أنْ نحسّن التعليم، يجب أنْ نحمي المتعلمين، فبرامج تحسين وضع المدارس أهمّ بكثير من برامج تدريب المعلمين، فإذا كانت المدارس نفسها غير صالحة، فكيف يمكن لمعلّم متميّز أنْ يعلّم في بيئة غير آمنة؟

فما نحتاجه حقاً ليس الكماليات، إنّما هي الأساسيات، فنحن نطالب ب...

وجود مشرف أمن وسلامة بوظيفة دائمة، لا مجرّد زيارات عابرة، فتكون مسؤوليّته التحقّق يومياً من سلامة المرافق، الملاعب، الحافلات، الأبواب، المظلات، وكلّ ما يمسّ سلامتنا....

وجود كادر صحي ثابت، من ممرض أو ممرضة في كلّ مدرسة، لا كزيارة واحدة في الفصل الدراسي.

تنفيذ برامج تدريبية مكثفة للسائقين، فسلامتنا في الطريق مسؤولية كبيرة، وعلى السائق أنْ يكون مدرباً بشكل احترافي على التعامل مع الطلبة وقيادة الحافلة بأمان.

وضع كاميرات مراقبة، فمعظم المدارس لا تحتوي حتى على كاميرات مراقبة، فكيف تحمونا وتتابعون ما يحدث معنا في غيابها؟

ARAB-PSF.COM

عمل صيانة دورية وشاملة، لكافّة مرافق المدرسة من الجدران، الأبواب، المظلات، الملاعب، الحمامات، فكلّ شيء يحتاج إلى صيانة منتظمة، وليس إلى انتظار وقوع الكارثة..

الاهتمام بمحور النمو الشخصي للطلبة، فنحن لا نريد تخفيف وزن الحقيبة المدرسية وحسب، إنّما نريد برامج تحمينا نفسياً وجسدياً، برامج توعية عن الأمان، عن حقوقنا، عن كيفيّة حماية أنفسنا...

فهنا يظهر سؤال صادق: هل مدارسنا مؤهلة لتكون بيئة آمنة؟ الإجابة، للأسف، واضحة، بأنّ معظم المدارس ليست آمنة، وهذا ليس اتهاماً بقدر ما هو بيان واقع يحتاج إلى مواجهة شجاعة.

فأين دوركم حضرة الوزير الموقّر؟

هذا ليس نقداً هدّاماً، بل صرخة بنّاءة، فنحن نعلم أنّ هناك تحدّيات كثيرة، وأنّ الموارد قد تكون محدودة، لكنّ الأمان لا يمكن أنْ يكون رهناً بالميزانيات، فكلّ ما يُوفّر للمدارس الآن تقريباً يأتي عبر التبرعات، فأين دور الوزارة المباشر؟ وأين الخطط الإستراتيجيّة لإصلاح المدارس؟ وأين الاستثمار الحقيقيّ في البنية الأساسيّة؟

سيدي الوزير،

نحن لسنا مجرد أرقام في سجلات المدارس، نحن أطفال نحلم، وشباب نطمح، ومستقبل وطن يُبنى الآن، فعندما نذهب إلى المدرسة، لا يجب أنْ نقلق على سلامتنا، إنّما يجب أنْ نذهب بشغف للتعلّم، بحماس للعب، بفرح لنبني صداقات ونصنع ذكريات جميلة، فالمدرسة الآمنة ليست رفاهية، إنّما حقّ إنسانيّ أساسيّ.

أرجو أنْ تصل هذه الرسالة إلى قلبكم قبل مكتبكم، وأنْ تُترجم إلى خطط فعليّة على أرض الواقع، فنحن لا نطلب الكثير، إنّما نطلب فقط أنْ نكون آمنين في المكان الذي يُفترض أنْ يكون ثاني بيت لنا..

بكل احترام وأمل،

ابنكم أحمد، وكلّ طلبة المدارس الذين يحلمون بغدٍ أفضل

ARAB-PSF.COM

حينما أنهى أحمد كتابة رسالته، نظر إليها بعينين دامعتين، ولم يكن يعرف إنْ كانت ستصل فعلاً إلى الوزير، لكنّه كان يعلم أنّه عبّر عما في قلوب آلاف الطلبة، فرفع رأسه، ونظر عبر النافذة إلى الساحة المتصدعة، إلى المظلة المشققة، إلى الباب القديم، وهمس لنفسه: "يوماً ما، ستكون مدارسنا آمنة، يوماً ما"...

ولم يخطر ببال أحمد أنّ يوماً ما، ستكون أقرب ممّا يتصوّر، فقد وصلت الرسالة فعلاً لمكتب الوزير، ولامست قلبه وفعله، فما لبث الوزير أنْ أنهى قراءته لهذه الصرخة، فأعلن حالة الطوارئ لانعقاد اجتماع هامّ ليعلن فيه عن ضرورة تجهيز فريق مهمّته الأساسيّة وضع خطط قابلة للتطبيق الفوريّ، لا التنظير الورقيّ وحسب، فبدأ في سباق محموم مع الزمن، فشكّل غرفة عمليّات وبدأ بوضع خارطة طريق طموحة لمواجهة التحدّيات القائمة، فكان أول القرارات المصيرية يتعلّق بمنع إصدار تراخيص لأيّة مدرسة مستقبليّة إلاّ إذا كانت مجهّزة بمسارح وملاعب رياضيّة وصالات مغلقة بمواصفات عالميّة، ومطاعم تقدّم وجبات صحيّة، وقام بفتح الباب على مصراعيه للاستثمار الخاصّ مع التّوجّه إلى دعمه من خلال تحمّل تكلفة دراسة الطلبة أو ابتعاثهم، ولم يكتفِ الوزير بذلك وحسب، إنّما قام بإقناع حكومته بتخصيص دولار واحد من عائدات كلّ برميل نفط، ليُضخّ في صندوق سياديّ مستقلّ مخصّص لتطوير البنية التحتيّة التعليميّة، فكان هذا الإنجاز بريق أمل قويّ لإنجاح هذا السعي الدؤوب للنهوض بالتعليم في جوانبه كافّة....

واليوم ، وبعد انقضاء عشر سنوات من العمل المنظّم، والحوكمة الرشيدة، والرؤية الثاقبة، فقد برزت ثمار هذا الجهد، وآن الأوان ليخرج "أحمد" من بين صفوف الطلبة، متسلّحاً بالعلم والقدرة، ليقود بدوره دفّة المستقبل ويسهم في قيادة مسيرة التعليم...

فشكراً لك أيّها الوزير المخلص، الذي لبّى صرخة أحمد، وشكراً لكلّ "أحمد" غيور يخرج من بين هذه المنظومة ليضيء الطريق للأجيال القادم....

ARAB-PSF.COM